

التشبيه المركب في كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق

لابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦ هـ)

علي عبد علي الهاشمي* و شيماء أحمد محمد*

تأريخ القبول: ٢٠٢١/٤/١٠

تأريخ التقديم: ٢٠٢١/٣/١٣

المستخلص:

يتناول البحث صورة التشبيه المركب بنوعيه (التمثيلي والضمني) في كتاب (مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)) _ رحمه الله _ وكيف وظفه؟ وموطن الجمال فيه ومقوماته من لغة وإيحاء وخيال ودوره ودقته في اختيار ألفاظ الصورة التشبيهية التي توحى بدلالات أخرى تفهم عن طريق سياقها في النص، وقد كان لهذا النوع من التشبيه دور كبير في تأدية معاني البعد عن الرذائل والترغيب بالفضائل في كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم الأندلسي _ رحمه الله _ وكان التشبيه المركب بليغاً؛ إذ صبغ بصبغة فكرية منطقية يتناولها اديب ومفكر وشاعر وفيلسوف عربي مسلم وهو ابن حزم الأندلسي _ رحمه الله _ إذ عبر عن فكره وتجاريه بلغة اديب وشاعر وفيلسوف فكان الجمال.

الكلمات المفتاحية: التشبيه، المركب، التمثيلي، الضمني.

* طالب ماجستير/قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل.

* مدرّس/قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل.

توطئة

المقصود بالتشبيه المركب هو ما كان طرفاه مركبين ووجه الشبه منتزعا من مكوناتهما المتشابهة والمتماسكة، فيكون على شكل لوحة تُصَوَّرُ بأكثر من مفرد، ووجه الشبه فيه لا يكون مأخوذاً من مفرد بعينه، بل يكون مأخوذاً منه ومن غيره أو من الصورة العامة^(١).

وهو تشبيه اختلطت فيه الأمور أو الصفات التي يتكون منها طرفا التشبيه ويتحدان بحيث يتحولان إلى هيئة مركبة لا يمكن الفصل بين أجزائها^(٢).

ويعتمد هذا النوع من التشبيه على وجود أجزاء متعددة في الصورة ليربطها بعلاقة مشابهة مع الأجزاء المتعددة في الصورة الأخرى، وبذلك يكون (التشبيه المركب) الذي بين شيئين اثنين بشيئين اثنين، إذ تربط بين الصورتين علاقة انسجام تربط الأجزاء ببعضها عن طريق التشبيه الحاصل بينهما، يكشف البليغ من بحثه عن معالم الاتفاق بين الصورتين ليرزها، فيضع صورة جديدة تتجه نحو المبالغة لتقرير الصورة وتأكيد ملامحها^(٣).

وتضمن كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم الأندلسي -رحمه الله- صوراً تشبيهية مركبة يمكن أن نُسلِّط الضوء عليها في هذا البحث الذي يندرج تحته مبحثان مُمَثَّلان بالصورة المركبة التمثيلية والصورة المركبة الضمنية.

أولاً: التشبيه المركب التمثيلي

التشبيه التمثيلي كما يعرفه الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) - رحمه الله - هو: "ما كان وجه الشبه فيه متأولاً، أو لم يكن الوجه فيه بيناً ظاهراً، وذلك إذا لم يقع

١- ينظر: البلاغة في علم البيان، محمد عفران زين العالم، د.ط، دار السلام، ٢٠٠٦م: ٣٩ وينظر:

البلاغة العربية في ثوبها الجديد، د.بكري شيخ أمين، ط١، دار الثقافة الإسلامية، ١٩٨٢م: ٢٢.

٢- ينظر: علم البيان، د.بسيوني عبدالفتاح فيود، ط٣، دار المعالم الثقافية، الإحساء-المملكة العربية السعودية، ١٩٨٨م: ١٦

٣- ينظر: بلاغة الصورة البيانية في شعر ابن زيدون، الباحثة انتصار محمود حسن سالم، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، مجلد ٦، عدد ٣، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية: ١٠٦٦

الاشتراك بين الطرفين في الصفة نفسها وإنما في لازمها ومقتضاها، ويتحقق ذلك في التشبيه ذي الوجه العقلي^(١)، ويكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة من أمور متعددة؛ لذلك يطلق عليه تشبيه الصورة^(٢)، فيكون على شكل لوحة تُصَوَّرُ أكثر من مفرد، ووجه الشبه فيه لا يكون مأخوذاً من مفرد بعينه، بل يكون مأخوذاً منه ومن غيره أو من الصورة العامة^(٣).

وَعَرَّفَهُ السكاكي بقوله: "واعلم أَنَّ التشبيه متى كان وجهه وصفاً غير حقيقي، كان منتزعاً من عِدَّةِ أمورٍ خُصَّ باسم التمثيل"^(٤).

ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. فقد شبه الله -عزَّ وجلَّ- أجزر من تصدق بأمواله في سبيل الله بالسنبلة التي تنبت سنابل وحببات عديدة، ووجه الشبه هنا هو (المضاعفة).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَرَبَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا فِي عَلَيْهَا أَنَّهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

تضمن النص صورة تشبيهية؛ إذ يشبه الله -عزَّ وجلَّ- حال الدنيا في إقبالها وبهجتها ثم توليها بصورة مكونة من ماء ينزل من السماء ليختلط به نبات الأرض؛ فيزهو النبات، وتتنزين به الأرض، ثم تصبح فناءً، وحال الدنيا في بهجتها وفنائها وإن كان يتكرر ألا أن الإحساس به ليس بدرجة الإحساس نفسها بصورة النبات الزاهي الذي يصيبه الذبول؛ لِأَنَّ

١- علم البيان، دبسيوني عبدالفتاح فيود: ٧٥

٢- ينظر: البلاغة العربية، تأصيل وتجديد، د. مصطفى الحويني، د. ط، دار المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٥م: ٩٤

٣- ينظر: البلاغة العربية، عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني، ط١، دار القلم، دمشق-سوريا، ١٤١٩هـ- ١٩٩٦م: ١٨٦/٢

٤- مفتاح العلوم، السكاكي، د. ط، القاهرة، ١٣٥٦هـ- ١٩٧٣م: ١٦٤

ذلك يقع كثيراً تحت البصر والسمع؛ ففي كُلِّ وقتٍ نرى نباتاً يحيا ونباتاً يموت، نرى إنظاره والذبول يمثلان أماننا، نرى ذلك في الريف والحضر، والقرى والمدن، نرى في كُلِّ يومٍ أغصاناً وأعشاباً وأوراقاً ذابلاً تسقط، يمثل أماننا فيها الفناء؛ ولهذا كَثُرَتْ هذه الصور في القرآن الكريم؛ لأنه أرادَ أَنْ يُلَفِّتَ في كُلِّ حالٍ إلى المصير المحتوم، وأرادَ كذلك أَنْ يُلَفِّتَ إلى ضرورة التفكير فيما يحيط بالمسلم، ويقع عليه نظره، وضرورة أخذ العظة الوجدانية مِنَ الأشياء^(١).

وخلاصة القول في هذا الصدد أَنَّ التشبيه التمثيلي هو وصف حالة أو هيئة معينة بحالة أو هيئة أخرى، وفيه يشبه الأديب صورة مركبة بصورة أخرى، فيكون وجه الشبه منتزعا من متعدد.

وهذا النوع من التشبيه تَكَرَّرَ كثيراً في كتاب ابن حزم -رحمه الله- فيقول: "وَبَاذِلُ نَفْسِهِ فِي عَرَضِ الدُّنْيَا كَبَائِعِ الْيَاقُوتِ بِالْحَصَى"^(٢).

تضمن النص صورة تشبيهية تمثيلية جميلة، شَبَّهَ فيها ابن حزم حال الذي يبذل نفسه في عرض الدنيا بحال الذي يبيع ويستبدل الياقوت بالحصى بجامع الخسران، فالمشبه هو (صورة وحال الذي يبذل نفسه في عرض الدنيا) والمشبه به (صورة وحال الذي يبيع ويستبدل الياقوت بالحصى) وأداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه أو المعنى الجامع بين طرفي التشبيه محذوف ويدلُّ سياق النص عليه، تقديره: (الخسران).

إِنَّ الذي يسعى في الدنيا وملذاتها وشهواتها تاركاً الآخرة وما يعد لها كالذي يبيع الشيء الثمين بالحصى الذي لا قيمة له؛ فهنا يشبه النفس الكريمة العزيزة الفاضلة بالياقوت، وهو أفضل أنواع الحجارة^(٣) ومن الجواهر الثمينة ويطلق عليه البلور أو

١- ينظر: الإعجاز البلاغي، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د.محمد محمد أبو موسى، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م: ١٠٧

٢- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي، تح: محمد مطر بن سالم الكعبي، ط١، دار القلم، دمشق-سوريا، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م: ٢٧

٣- ينظر: رسالتان في اللغة، أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى، تح: إبراهيم السامرائى، د.ط، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤م: ٧٦

الفيروزج^(١) وهو معدن نفيس يندر وجوده يستعمل في الحلي والزينة، فإذا انهمك الإنسان في تَرْهَاتٍ وملذات الدنيا وأوغل فيها نَسِيَ نفسه، وضاعت قيمته، وفقد جوهريته من أجل تفاهات لا قيمة لها كالحصى، وهي "صغار الحجارة"^(٢) التي لا قيمة لها قياساً بالياقوت الثمين، فيكون بذلك كحال الذي بدل وباع الياقوت الثمين بالحصى التي لا ثمن ولا قيمة لها، مستبدلاً عِزَّهُ ومكانته بِذُلِّهِ وامتهانه؛ فشتان بين الياقوت النفيس الثمين وبين الحصى التي لا قيمة لها.

والإنسان العاقل هو من يبذل نفسه فيما هو أعلى منها، ولا يكون ذلك إلا في سبيل الله لا في سبيل دنيا فانية لا قيمة لها قياساً بالآخرة التي هي الحياة الأبدية الخالدة؛ كي لا يكون كحال من باع الياقوت بالحصى في الخسران.

ولقد ذمَّ الله الدنيا ووصفها بالقرآن الكريم كزهرة تزهر بنضارتها تسحر الألباب، وتستهوِي القلوب، ثم لا تلبث إلا فترة قليلة من الزمن حتى تذبل وتتلاشى تلك النضارة وتحطمها الريح كأنها لم تكن، قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ يَبْتَغُونَ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَثُهُ مُصْغَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

والتشبيه لا يخلو من فنية؛ وذلك بفضل الإيحاءات التي توحىها ألفاظه؛ فنجد أن طرفي التشبيه (بازل نفسه في عرض الدنيا) و (بائع الياقوت بالحصى) يبدآن باسم فاعل خاليان من التتوين ومضافان إلى معموليهما؛ ليدلَّان على المضي وما فيه من معنى التحقيق^(٣)؛ فيوحي بحصول وتحقيق معنى (الخسران) في المستقبل لمن ضيع ماضيه

١- ينظر: فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تح: عبدالرزاق

المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م: ٢٠٩

٢- فقه اللغة وسر العربية: ٣٩

٣- ينظر: معاني النحو، د.فاضل صالح السامرائي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان-

الأردن، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م: ١٧١/٣

ببذله نفسه في دنيا لا قيمة لها وترك العمل للآخرة، وباع بذلك الدنيا بالآخرة وكان كمن باع الياقوت بالحصي.

وأدّى التشبيه وظيفته تهذيب النفس بترغيبها بفضيلة الزهد في الدنيا، وتغييرها عن رذيلة حب الدنيا، والدعوة إلى أن يبذل الإنسان نفسه في سبيل الله لا في سبيل دنيا فانية؛ فالعبرة بالآخرة.

ومن نصوص التشبيه التمثيلي في كتاب ابن حزم رحمه الله-، قوله: "وَطَالِبُ الْمَالِ لِعَيْنِ الْمَالِ، لَا لِيُنْفِقَهُ فِي الْوَاجِبَاتِ وَالنَّوَافِلِ الْمُحْمُودَةِ اسْقَطُ وَأَرِذَلُ مَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ شِبْهٌ، وَلَكِنَّهُ يُشَبِّهُ الْغُدْرَانَ الَّتِي فِي الْكُهُوفِ إِلَّا مَا حَمَلَ مِنَ الطَّائِرِ ثُمَّ تَجَفَّفُ الشَّمْسُ وَالرِّيحُ مَا بَقِيَ مِنْهَا، كَذَلِكَ يُجْتَاحُ الْمَالُ الَّذِي لَا يُنْفَقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"^(١).

تضمن النص صورة تشبيهية تمثيلية يشبه ابن حزم رحمه الله- فيها حال طالب المال حبا للمال لا لينفقه في الواجبات والنوافل المحمودة بحال وصورة غدران الماء في كهوف الجبال التي لا يستفيد منها شيء من المخلوقات سوى قليل من الطير.

والمشبه (حال وصورة طالب المال لعين المال لا لينفقه في الواجبات والنوافل المحمودة) والمشبه به (حال وصورة الغدران في كهوف الجبال) وأداة التشبيه (يشبه) ووجه الشبه بين الطرفين (انتقاء الفائدة ثم التلاشي والانتهاه)، والغدران جمع (غدير) وهو "ماء صغير أو نقرة في الجبل يستنقع فيها الماء"^(٢).

كما أن غدران الماء في كهوف الجبال لا ينتفع منها أحد من الناس أو الحيوانات إلا القليل من الطيور ثم تجفف الشمس والرياح بقية الماء ويتلاشى، كذلك صاحب المال الذي يجمعه ولا ينفقه في وجوهه لا ينتفع أحد من الناس منه بل سيجتاح ماله ويتلاشى وينتهي بل سيكون حسرة لصاحبه وندامة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣١﴾ يَوْمَ يُخْمَلُ عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ

١- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي: ٣١

٢- لسان العرب، ابن منظور، تح: عبدالله علي الكبير ومحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، د.ط،

دار المعارف، القاهرة، د.ت: ٤٥٢٧/٦

تَكْزُوت ﴿٣٥﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]، فالذي يجمع المال لذات المال لا يجعله وسيلة يستعين بها على تسهيل أمور الحياة أو ينفقه في الواجبات كالزكاة والنفقة على العيال أو الصدقة على الفقراء والمساكين؛ يكون هذا المستوى من البشر أشبه أو أقلّ قدرًا من الحيوان، بل هو مثل غدران الماء في كهوف الجبال التي لا ينتفع منها إنسان أو حيوان إلّا القليل من الطير ثم تجفف الشمس والرياح باقي الماء ويذهب ويتلاشى ولا يفيد أحد من الناس أو الحيوان منه.

والمال وسيلة وليس غايةً نحصل بواسطته على الأكل والأدوية وباقي الضروريات، وأنّ الهدف الأسمى منه تحقيق مصالح الناس المشروعة وخدمة الدين والمجتمع، ويجب أن يسخر في منفعة الذات والأهل والناس، وتطوير طرق المعيشة وتغيير في بعض نواحيها؛ خدمةً للبشرية وللنفس.

وتشبيه حال وصورة طالب المال الذي لا ينفقه في تلك الوجوه المشروعة بحال وصورة غدران الماء في كهوف الجبال في انتفاء الفائدة منه والتلاشي، يدفعنا إلى صورة مكتملة ولوحة تامة نتخيل عن طريقها مشهد غدران الماء في الكهوف -تلك المياه القليلة- التي تتسلط عليها حرارة الشمس والرياح والتي ستجف؛ بسبب تسلط تلك العوامل الطبيعية عليها ثم ننتزع منها عن طريق الخيال وجه الشبه بين تلك الغدران والمال الذي لا ينفق في وجوه البرّ بجامع عدم وصوله إلى مستحقه أو عدم وصول مستحقه إليه وبذلك تنتفي منه الفائدة التي كان من أجلها؛ فيكون بذلك كحال تلك المياه القليلة في تلك الكهوف ثم ينتهي ويتلاشى.

والتشبيه بصورته التمثيلية وبلوحته المتكاملة قائم على التخيل الذي يعد أحد أهم خصائص الصورة الفنية فضلاً عن عنصر (الإيحاء) الذي تثيره مفردات النص؛ فنجد أنّ ابن حزم -رحمه الله- يستعمل أداة التشبيه بصيغة الفعل المضارع (يشبه) بهذا اللفظ الصريح الدال على التشبيه عاقداً منذ البداية علاقة التشبيه بين الطرفين بهذا اللفظ وبصيغة المضارع التي تدل على الاستمرار والدوام والتجدد^(١)؛ فيوحي بدوام واستمرارية وتجدد انتفاء الفائدة من المال الذي لا ينفق في سبل الخير وتلاشيه وانتهائه كما هو حال

١- ينظر: معاني الأبنية في العربية، د.فاضل صالح السامرائي، ط١، بغداد، ١٩٨١م: ٣٤-٣٥

مستنقعات المياه التي في كهوف الجبال التي تنتهي وتتلاشى دون أن ينتفع بها الإنسان أو الحيوان.

ونجد أن ابن حزم في مستهل نصه ينفي ضمناً الشبه المطلق لطالب المال لعين المال بالحيوان بل يجعله أقل شأنًا من الحيوان؛ لأنَّ الحيوان يُستفادُ منه بخلاف جامع المال لعين المال الذي لا يُستفادُ منه في شيء، مستخدماً لفظ الشبه الصريح الذي جاء اسماً صريحاً (شبه) نكرة في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم^(١)؛ لينفي عموم الشبه بين هكذا صنف من الناس من أهل الشح والبخل وبين الحيوان، ثم بعد نفي شبههم بالحيوان يثبت شبههم بغدران الماء في كهوف الجبال بجامع عدم الانتفاع والفائدة ثم الانتهاء والتلاشي، وبهذا التضاد (انتفاء الشبه بين طالب المال لعين المال وبين الحيوان) و (إثبات الشبه طالب المال لعين المال وبين غدران الماء في كهوف الجبال) نكون أمام محسن بديعي وهو (المقابلة) الذي أعطى الكلام نوعاً من القوة والتأثير في نفس المتلقي وأضفى عليه رونقاً وبهاءً، موضحاً المعنى المراد من القول، فضلاً عن دوره في تلاحم ألفاظ النص وارتباط بعضها ببعض مؤدياً بدوره تأكيد المعنى الذي من أجله عُدَّ التشبيه^(٢).

وأدى التشبيه بصورته وظيفته تهذيب النفس بتفجيرها عن رذيلة الشح والبخل، وترغيبها بفضيلة الجود وإنفاق المال في وجوهه المشروعة.

ومن نصوص التشبيه التمثيلي في كتاب ابن حزم رحمه الله-، قوله: "مَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِأَدْنَى الْعُلُومِ، وَتَرَكَ أَعْلَاهَا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ؛ كَانَ كَزَارِعِ الذَّرَةِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يَجُودُ فِيهَا الْبُرُّ، وَكَغَارِسِ الشَّعْرَاءِ حَيْثُ تَرْكُو التُّخْلُ وَالزَّيْتُونُ"^(٣).

المشبه (حال الذي يشغل نفسه بأدنى العلوم ويترك أعلاها مع قدرته عليه) والمشبه به (حال الذي يزرع الذرة في الأرض التي يجود فيها البر وحال غارس الشعراء -وهي

١- ينظر: شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الأستراباذي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، د. ط، جامعة قاريونس، ١٣٨٩هـ-١٩٧٨م: ١٥٦/٢

٢- ينظر: علم البديع في البلاغة العربية، د.محمود أحمد حسن المراغي، ط١، دار العلوم العربية، بيروت-لبنان، ١٤١١هـ-١٩٩١م: ٧٠

٣- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي: ٤١

شجرة من الحمض وهو شجر لا يثمر^(١) - في الأرض التي تصلح للنخل والزيتون) وأداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه -المعنى- الجامع بين الطرفين (تقديم المفضول على الأفضل).

يشبه ابن حزم رحمه الله- في هذا النص حال الذي يشغل نفسه بأدنى العلوم ويترك أعلاها وأشرفها من العلوم مع قدرته على تعلمها بحال وصورة زارع الذرة في الأرض التي تصلح لزراعة البرّ، وبحال غارس الشعراء -وهو شجر لا يثمر- في الأرض التي تصلح للنخل والزيتون، وهو بذلك يترك الأفضل مستبدلاً بإياه بالأقل جودةً، ومستبدلاً أدنى العلوم بالتي هي خير.

نلاحظ أنّ النص يبدأ بـ(من الشرطية) التي تدلّ على عموم الفاعل والإبهام^(٢)؛ فيوحي بعموم الذين يشغلون أنفسهم بأدنى العلوم ويتركون أعلاها وحالهم كحال زارع الذرة في الأرض التي تصلح لزراعة البرّ وكحال غارس الشعراء التي لا تثمر في الأرض التي تصلح للنخل والزيتون المثمرة بجامع (الخسران واستبدال الأفضل بالمفضول)، كما نلاحظ أنّ المُشَبَّه به (زارع الذرة، غارس الشعراء) ورد اسم فاعلٍ مضافاً إلى معموله؛ فدلّ على المضى الذي يفيد معنى تحقيق حصول الحدث وجرى مجرى الأسماء في الإضافة^(٣)، فيوحي بتأكيد حصول خسارة من شغل نفسه بأدنى العلوم مع قدرته على أعلاها، فضلاً عن دقة ابن حزم رحمه الله- في استعماله للألفاظ؛ فمثلاً نجده يستعمل (زارع) مع (الذرة) و(غارس) مع (شجر الشعراء)؛ ذلك أنّ الغرس يكون للأشجار كالنخيل، والزيتون، والزراعة تكون للحبوب، كالذرة والبرّ^(٤)، وكان لتكرار الفعل بالمعنى (يجود، تركو)، دورٌ

١- ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد

عبدالغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ٢/٧٠٠

٢- ينظر: المباحث المرضية المتعلقة بـ(من) الشرطية، ابن هشام، تح: د.مازن المبارك، ط١، دار ابن كثير، دمشق-سوريا، بيروت-لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م: ٣٩

٣- ينظر: معاني النحو: ١٧١/٣

٤- ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة المرسي، تح: عبدالحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م: ١٩٨/٥ و ٤٢٨

في تأكيد معنى النص للمتلقي^(١)، وهي صورة تشبيهية جميلة من التشبيه التمثيلي؛ فأدنى العلوم قياساً بأعلاها، هي كالذرة قياساً بالبر، والبر أكثر نفعاً من الذرة للإنسان؛ ذلك أن البر هو غذاء الناس الأساسي، وكشجر الشعراء الذي لا يثمر قياساً بأشجار النخل والزيتون المثمرة التي تنفع الإنسان، ونلاحظ تعدد المشبه به دون المشبه، وهذا ما يسمى بـ(تشبيه الجمع)^(٢).

إنَّ الإنسانَ العاقلَ هو من يشغل نفسه بالعلوم المفيدة التي تنفعه في دنياه وأخراه، ويترك ما لا فائدة له منها.

وفي هذا التشبيه أكثر من مشهد، المشهد الأول: مشهد من يشغل نفسه بأدنى العلوم ويترك أعلاها وهو قادر عليه، والمشهد الثاني: مشهد الذي يزرع الذرة في الأرض التي يوجد فيها البر، والمشهد الثالث: مشهد الذي يغرس الشعراء، وهو شجر لا يثمر، في الأرض الصالحة لغرس أشجار النخل والزيتون المثمرة، فتتعدد المشاهد وتتفق في وجوه كثيرة تلتقي كلها لتكون وجهاً واحداً وهو تقديم المفضل على الأفضل أو استبدال الذي أدنى بالذي هو خير، وكل واحد من تلك الوجوه المفردة لا قيمة له إلا من حيث أنه يخدم التشبيه الكبير بأن يكون حلقة من حلقاته أو طوراً من أطواره بجامع ومعنى واحد، فمشهد الأرض التي يوجد فيها البر أو التي تصلح لغرس شجر النخل والزيتون يلتقي مع مشهد أعلى العلوم في حصول الفائدة، ومشهد الذرة وغرس أشجار الشعراء التي لا تثمر يلتقي مع مشهد أدنى العلوم في انتفاء الفائدة، ومن هذه المشاهد المتعددة ينتزع منها وجهاً محدداً وواحداً يخدم هذا التشبيه في هذا النص، و (هو استبدال الذي أدنى بالذي هو خير وتقديم الأدنى على الأفضل) لمن شغل نفسه بأدنى العلوم وترك أعلاها فيكون كزارع الذرة في الأرض التي تصلح لزراعة البر، وكغارس الشعراء في الأرض التي تصلح للنخل والزيتون.

١- ينظر: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، أبو علي أحمد المرزوقي، تح: غريد الشيخ، ط١، دار الكتب

العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ١٦٤

٢- ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم

خفاجي، د. ط، دار الجيل، بيروت-لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٢٣٤/١

وأعلى العلوم تلك التي تعين على طاعة الله وعلى نصر دينه وينتفع بها الناس وتحقق أهدافها الإنسانية وغاياتها في إدراك الحقائق الإيمانية الكبرى، والإيمان بها إيماناً يقينياً، فضلاً عن العلوم النافعة دينياً ودنيوياً، كعلوم القرآن الكريم، والحديث، والفقه في الدين، وعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، فضلاً عن علوم الطب والهندسة والرياضيات، وغيرها مما يؤثر في حياة الناس إيجاباً.

وأدنى العلوم تلك التي تتسم بالسطحية ويكون الانتفاع بها قليلاً قياساً بأعلى العلوم، أو هي تلك العلوم التي لا مصلحة للناس في تعلّمها.

فمن استطاع أن يشغل نفسه بأعلى العلوم وأنفعها وتركها وانشغل بأدناها ممّا لا يفيد منها في دنياه ولا في أخراه؛ فستكون تجارته خاسرة، ويكون كالذي يغرس شجراً لا يثمر في أرضٍ تصلح لغرس النخل والزيتون، أو كمن يزرع الذرة في الأرض التي تصلح لزراعة البُرّ، والبرّ هو أفضل من الذرة غذاءً للإنسان.

لقد كان لطباق الإيجاب (أدنى العلوم، أعلاها) الذي يقوم على المعنى وضده^(١) دور كبير في إبراز المعنى وتأكيد المتلقي؛ فأدنى العلوم وأدناها هي مدار معنى النص التشبيهي التي عُقدت المقارنة بينهما وانثَرَج وجه الشبه على أساس تلك المقارنة.

ويؤدي التشبيه بصورته وظيفته تهذيب النفس بترغيبها بأعلى العلوم وأشرفها التي تعين على طاعة الله ونصر دينه ونفع عباده، وتنفيها عن أدنى العلوم التي لا تعين على طاعة الله ولا ينتفع عباده بها.

ومن نصوص التشبيه المركب التمثيلي في كتاب ابن حزم -رحمه الله- قوله: "تَشْرُ الْعِلْمُ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ مُفْسِدٌ لَهُمْ كَاطْعَامِكَ الْعَسَلِ وَالْحُلُوءِ مَنْ بِهِ اخْتِرَاقٌ وَحُمَى أَوْ كَتَشْمِيمِكَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ لِمَنْ بِهِ صُدَاعٌ مِنْ اخْتِدَامِ الصُّفَرَاءِ"^(٢).

تضمن النص صورة تشبيهية تمثيلية جميلة؛ إذ يشبه ابن حزم -رحمه الله- صورة وحال نشر العلم عند من ليس من أهله بصورة وحال إطعام العسل والحلواء من به احتراق

١- ينظر: علم البديع في البلاغة العربية: ٦٨

٢- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي: ٤٠-٤١

وحمي وبصورة وحال تشميم المسك والعنبر لمن به صداع من احتدام الصفراء بجامع الإفساد، والصفراء: هو ما يُطْلَقُ عليه في إصطلاح أهل الطب بمرض التيفوئيد^(١).

فالمشبه هو (نشر العلم عند من ليس من أهله) والمشبه به (إطعام العسل والحلواء من به احتراق وحمي أو تشميم العسل والعنبر لمن به صداع بسبب التيفوئيد -احتدام الصفراء-) وأداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه (مفسد لهم).

ونلاحظ تعدد المشبه به في هذا النص دون المشبه وهذا ما يطلق عليه في اصطلاح البلاغيين بـ(تشبيه الجمع)^(٢).

فكما أَنَّ العسل والحلواء تفسد صحة من به احتراق وُحْمَى؛ لِحِدَّتِهِ وَجِدَّةِ الْحُمَى الذي يُوْدِي إلى تهيجها؛ فتفسد صحة المريض وتحدث عنده مضاعفات سلبية^(٣) كذلك نشر العلم عند من ليس من أهله وعند من لا يعرف قيمته؛ يفسده وقد يُوْدِي إلى استعمال العلم في الطريق الخاطئ بالابتعاد عن الوسطية والسير في طريق التشدد أو التميع، أو كتشميم المسك والعنبر -وهو ملك أنواع الطيب وأشرفها وأطيبها- لمن به صداع من احتدام الصفراء -التيفوئيد-؛ لأنَّهما يُوْدِيان إلى تهيج الصداع ويسببان كذلك مضاعفات سلبية للمريض تؤثر سلباً على صحته^(٤).

إِنَّ نَشْرَ الْعِلْمِ عند من ليس أهلاً له يفسده ويؤدي إلى ضرر به ومن ثم إلى ضرر بالمجتمع؛ لأنَّه سيسخر العلم في غير وجوهه الذي يُفْتَرَضُ أَنْ يصلح به نفسه، وبه يدعو إلى إصلاح المجتمع.

والجدير بالذكر أَنَّ غاية العلم هي الخير، ولكن الذي ليس أهلاً للعلم قد يستعمله أداة للشر كالعسل تماماً الذي هو بالأصل شفاءً للناس، لكنَّه يضرُّ من به احتراق وُحْمَى؛ ذلك أنَّه يُوْدِي إلى تهيجها لحدته وحدة تلك الأمراض أو كتشميم المسك والعنبر لمن أُصِيبَ

١- ينظر: الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، اعتنى به: مركز المنبر للتحقيق والبحث العلمي، ط٢، دار

ابن الجوزي، القاهرة-مصر، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م: ٢٦١، ٣٠٢

٢- ينظر: البلاغة العربية: ١٩٨/٢

٣- ينظر: الطب النبوي: ١٧٣-١٧٤

٤- ينظر الطب النبوي: ٢٦١، ٣٠٢

بمرض صداع التيفوئيد -الصفراء- الذي يهيج ويتضاعف ضرره إن شَمَّ صاحبه ذلك الطيب الذي يعد أجود أنواعه.

والمعنى الجامع بين طرفي التشبيه (نشر العلم عند من ليس من أهله) و(إطعام العسل والحلواء من به احتراق وحمى، وتشميم المسك والعنبر لمن به صداع من احتدام الصفراء) هو (الضرر والإفساد)، ونلاحظ أنَّ هذا المعنى منتزع من متعدد وليس من مفرد؛ فالتشبيه مركب تمثيلي وعبرة عن لوحة متكاملة رسمها خيال ابن حزم -رحمه الله- محذراً من نشر العلم عند من ليس من أهله وعند من لا يستحقه.

ونلاحظ أنَّ المعنى الجامع بين طرفي التشبيه (مفسدٌ لهم) ورد اسم فاعل منون نكرة؛ فيجري مجرى الفعل المضارع في المعنى؛ حيث يدلُّ على الاستمرار والدوام والتجدد^(١)؛ فيوحي بدلالة استمرارية ودوام وتجدد إفساد العلم لمن ليس من أهله؛ فضلاً عن أنَّ طرفي التشبيه يبدآن بالمصدر: (نَشْرُ، إطعامك، تشميمك)، والمصدر يدلُّ على الحدث خالٍ من الزمن^(٢)؛ فيوحي بتجاهل عنصر (الزمن) مؤكداً على الحدث الذي يؤدي إلى الإفساد في الأزمان كُلِّها ممثلاً بنشر العلم عند من ليس من أهله، وإطعام العسل والحلواء لمن به إحتراق وحمى، وتشميم المسك والعنبر لمن به صداع من احتدام الصفراء.

وقد رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قال: "لا تطرحوا الدُرَّ في أفواه الخنازير"^(٣)، "وأراد ب(الدر): العلم بجامع النفاسة والعزة، وأراد ب(في أفواه الخنازير): مَنْ ليسوا أهلاً للعلم كالسفهاء الذين لا يريدون بالعلم ما أمر الله به من العمل بل المباهاة والمنافسة؛ فالقاء العلم إليهم إضاعةٌ له"^(٤)، وقد شبه الله -سبحانه وتعالى- العالم غير العامل بالحمار، حيث قال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝﴾ [الجمعة: ٥].

١- ينظر: معاني النحو: ١٧١/٣

٢- ينظر: مسائل خلافية في النحو، أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري البغدادي، تح: محمد خير الحلواني، ط١، دار الشروق، بيروت-لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: ٤٨

٣- التتوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الحسني الكحلاني، تح: محمد إسحاق محمد إبراهيم، ط١، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، رقم الحديث: (٩٨٠٣) : ١٢١/١١

٤- التتوير شرح الجامع الصغير: ١٢١/١١

وعن أنس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "ويضيع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب"^(١).

فالأشياء الثمينة والنفيسة وعلى رأسها العلم يجب ألا تُعطى إلا لمن يعرف قيمتها ويستعملها استعمالاً صحيحاً أما إذا نُشِر العلم عند غير أهله سيفسدهم كما يفسد العسل والحلواء صحة من يعاني من الحمى وكما يفسد المسك والعنبر صحة من به صداع وتيفوئيد.

والتشبيه يُكوّن صورةً ولوحة متكاملة تتكون من ثلاثة مشاهد، المشهد الأول: مشهد نشر العلم عند من ليس من أهله، والمشهد الثاني: مشهد إطعام العسل والحلواء لمن يعاني من الحمى، والمشهد الثالث: مشهد تشميم المسك والعنبر لمن يعاني من الصداع والتيفوئيد (الصفراء)، والجامع بين تلك المشاهد هو (الضرر والإفساد) وهو وجه الشبه المنتزع من تلك المشاهد المتعددة التي اكتملت بها صورة التشبيه التمثيلي الذي ارتكز على أهم خصائص الصورة الفنية وهو الخيال الذي عن طريقه عقد ابن حزم رحمه الله- علاقة التشبيه بين طرفي التشبيه؛ فعمد إلى تشبيه العقلي المعنوي غير المحسوس (نشر العلم عند من ليس من أهله) بالمحسوس (إطعام العسل والحلواء لمن يعاني من الحمى وتشميم المسك والعنبر لمن به صداع من احتدام الصفراء)؛ لتقريب الصورة للمتلقى، مُحذراً من مغبة نشر العلم عند من ليس من أهله؛ بسبب ما يؤدي ذلك إلى إفساد وأضرار على الفرد والمجتمع.

ومن نصوص التشبيه التمثيلي في كتاب ابن حزم رحمه الله- قوله: "النَّاسُ فِيمَا يُعَانُونَهُ كَالْمَاشِي فِي الْفَلَا؛ كُلَّمَا قَطَعَ أَرْضاً بَدَتْ لَهُ أَرْضُونَ، وَكُلَّمَا قَضَى الْمَرْءُ سَبَباً حَدَّثَتْ لَهُ أَسْبَابٌ"^(٢).

يشبه ابن حزم رحمه الله- حال الناس فيما يعانونه في عدم انتهاء حاجاتهم بحال الماشي في الفلا، وهي الصحراء والأرض الواسعة.

١- سنن ابن ماجه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث: (٢٢٤) ١٥١/١

٢- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي: ١٣٦

فالمشبه (الناس فيما يعانونه) والمشبه به (الماشي في الفلا) وأداة التشبيه (الكاف) والمعنى الجامع أو وجه الشبه بين طرفي التشبيه هو (المعاناة وتجدد المشكلات، وكثرة الحاجات).

فحال الناس وما يعانونه من الهموم والأوجاع والفقر وتجدد حاجاتهم كحال الماشي في الصحراء والأرض الواسعة التي لا نهاية لها، ولا انقطاع لها؛ فكُلَّمَا قطع واجتاح أرضاً بدت له أرضون، وكذلك الناس كُلَّمَا قضوا سبباً من أسباب حياتهم حدثت لهم أسباب، وكُلَّمَا حصلوا على حاجة معينة تجددت لهم حاجات، وهكذا هم في استمرار. وكما أنَّه لا نهاية للأرضين في الصحراء، كذلك لا نهاية لمعاناة الناس من الهموم والأوجاع والفقر والأزمات، كُلَّمَا ذهبت أزمة وتلاشت ظهرت الأخرى وبدت.

فصورة التشبيه هنا تتكون من مشهدين يشكِّلان لوحة متكاملة رسم فيها ابن حزم - رحمه الله - عن طريق الخيال مشهد حقيقة الناس فيما يعانونه مشبهاً بإياه بمشهد الصحراء الواسعة التي يعاني الماشي فيها من سعتها وعدم قدرته على أن يقطعها؛ إذ كُلَّمَا قطع أرضاً منها بدت له أرضون، منتزِعاً من هذين المشهدين وجه الشبه الذي يجتمع المشهدان فيه وهو (تجدد المعاناة والمشكلات والحاجات)، مصوراً حقيقة الناس فيما يعانونه كما هي؛ فالإنسان إذا حَقَّقَ أُمْنِيَّةً أو حصل على حاجة معينة؛ يتطلَّع إلى غيرها؛ فهو دائماً يسعى إلى إشباع رغباته، والحصول على حاجاته؛ وهذه الحاجات لا نهاية لها، بل تتطور بتطور الحياة، لا حدود لها، كما هو حال الماشي في الصحراء، كُلَّمَا قطع أرضاً وانتهى منها بدت له أرضون غيرها؛ فهو يعاني من اتساع أراضيها.

وتشبيه حال الناس فيما يعانونه بحال الماشي في الصحراء الذي يعاني من سعتها، وعقد تلك المقارنة القائمة على التشبيه بين الصورتين، لا يخلو من فنية وجمال؛ إذ إنَّه يركز على أهم خصائص الصورة الفنية ألا وهو (الخيال) الذي عن طريقه يتخيل المتلقي وجه الشبه المنتزع من الصورتين (صورة الناس فيما يعانونه) و (صورة الماشي في الصحراء) وهو الاتساع، وتجدد الحدث وهو تكرار المعاناة وتجدد الحاجات وتطورها بتطور الحياة باستمرار؛ فضلاً عن أنَّ النص مؤكداً بأداة الشرط (كُلَّمَا)؛ التي تفيد التأكيد، وهي ظرف يقتضي التكرار مُرَكَّبٌ من (كُل) و (ما) المصدرية أو النكرة التي بمعنى

(وقت) ومن هنا جاءتھا الظرفية^(١)؛ فتوحي بتكرار وتجدد حاجات الناس ومعاناتهم كمعاناة الماشي في الصحراء الذي كُلما قطع أرضاً بدت له أرضون، وبهذه الأداة توفر أهم عنصر من عناصر الصورة الفنية وهو الإيحاء الذي هو أهم شرط من شروط فنية النص في النقد الحديث.

والنص بصورته دعوة للإنسان ونصيحة له بأن يُوطِّن نفسه بالاكتفاء بالحاجات الضرورية، وترك غير الضرورية قدر الإمكان؛ من أجل سعادته وراحته.

ومن نصوص التشبيه المركب التمثيلي في كتاب ابن حزم -رحمه الله- قوله: "عَفْلَةُ النَّفْسِ وَنِسْيَانُهَا مَا كَانَتْ فِيهِ فِي دَارِ الْإِبْتِلَاءِ قَبْلَ حُلُولِهَا فِي الْجَسَدِ كَعَفْلَةٍ مَنْ وَقَعَ فِي طِينٍ غَمْرٍ عَنْ كُلِّ مَا عَهِدَ وَعَرَفَ قَبْلَ ذَلِكَ"^(٢).

في النص تشبيه تمثيلي ووجه شبه بين صورتين ومشهدين وحالين يمرُّ الإنسان بهما في ظرفٍ ما من ظروف حياته، المشهد الأول: مشهد غفلة الإنسان أو النفس البشرية ونسيانها ما كانت فيه في دار الابتلاء من صحة وعافية قبل حلول الابتلاء في الجسد، والمشهد الثاني: مشهد غفلة من وقع في طين غمرٍ حتى غَطَّتْهُ عَمَّا كَانَ قَبْلَ وَقُوعِهِ فِي تِلْكَ الطِّينِ.

المشبه (صورة غفلة الإنسان وحالته ونسيانه ما كان فيه من صحة وعافية ورخاء عند حصول الابتلاء) والمشبه به (صورة وغفلة وحالة من وقع في طين غمرٍ كثيرٍ حتى غَطَّتْهُ ونسيانه ما كان فيه قبل وقوعه في تلك الطين) وأداة التشبيه (الكاف) ووجه الشبه والمعنى الجامع بين الصورتين والمشهدين هو (نسيان ما كان قبل الابتلاء من صحة وعافية ورخاء).

فالتشبيه يصور حقيقة واقعية، وهي حقيقة الإنسان الذي ينسى أيام الرِّخاء والصحة والعافية عندما يُمرُّ في ظرفٍ قاسٍ أو شدة معينة أو مرض أو أيَّ ابتلاءٍ آخر، كما هو حال من وقع في طين كثير حتى غَطَّتْهُ ونسيانه ما كان فيه قبل وقوعه في تلك الطين

١- ينظر: مع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تح: عبد الحميد هنداوي، د. ط،

المكتبة التوفيقية، مصر، د. ت: ٦٠٠/٢

٢- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي: ٦٣

ويصور طبيعة الإنسان وجزعه ونسيانه وغفلته عمّا كان فيه قبل الابتلاء عند حصوله، وكأنّه لم يَرَ خيراً قبله، وهذا أشبه ما يكون بصورة وحال ذلك الذي وقع في طين غمر - كثير - حتى غطته وغفلته ونسيانه لحالته قبل وقوعه في تلك الطين.

وعند حلول المرض في الجسد ينسى صاحبه ما كان فيه من صحة قبل ذلك؛ ذلك أنّ طبيعة النفس البشرية إذا وقعت في محنة ونكبة معينة نسياناً ما كانت فيه من نعمة وصحة قبل ذلك، وهذا شبيه بصورة من وقع في طين غمر كثير حتى غطاه ونسيانه وغفلته عن كلّ ما عرف وعهد قبل ذلك؛ فالإنسان جزوع؛ إنّ أصابه مكروه أو شرٌّ، وقد وصفه الله بذلك في محكم التنزيل، وذلك بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ﴾ [المعارج: ٢٠].

وفي النص إشارة واضحة وتنبيه للإنسان بأنّ أعظم ابتلاء هو ما يصيب جسده من مرض ونحوه.

والتشبيه هنا يركز على أهم عناصر الصورة التشبيهية وهو "الخيال" الذي عن طريقه تتضح علاقة الشبه والجامع المعنوي بين طرفي التشبيه، فضلاً عن دقة ابن حزم رحمه الله- في استعماله لألفاظ الصورة التشبيهية؛ حيث نلاحظ أنّه يستعمل المصدر (نسيان، الابتلاء، حلول) مع صورة المشبه (غفلة النفس...)، والمصدر يدلّ على الحدث مجرد من الزمن^(١)، فيوحي باستمرارية حدوث غفلة النفس ونسيانها ما كانت فيه قبل حصول الابتلاء عند حصوله في الجسد، بينما استعمل الفعل الماضي (وقع، عهد، عرف) مع صورة المشبه به (غفلة من وقع في طين غمر...)، والفعل الماضي يدلّ على زمن مضى قبل زمن التكلم، وقد يحصل مرة واحدة ولم يتكرر^(٢)، فيوحي بندرة وقلة حصول وقوع الإنسان في طين غمر قياساً بغفلة النفس ونسيانها ما كانت فيه قبل الابتلاء قبل حلوله في الجسد؛ ذلك أنّ غفلة النفس ونسيانها ما كانت فيه من نعمة قبل حلول النعمة أمراً يحدث كثيراً، في حين أنّ وقوعها في طين كثير ونسيانها ما قبل ذلك يحدث قليلاً، غير أنّ الحاليين يلتقيان في مسألة نسيان ما قبل الابتلاء عند حلوله في الجسد.

١- ينظر: مسائل خلافية في النحو: ٤٨

٢- ينظر: معاني النحو: ٣٠٨/٣

والتشبيه بصورته دعوة للإنسان على الصبر عند حلول الابتلاء وخاصة في الجسد؛ فضلاً عن دعوته لتذكر نعم الله عليه في السراء والضراء.

ثانياً: التشبيه المركب الضمني

التشبيه الضمني هو نوع من أنواع التشبيه المركب يترك فيه عاقد التشبيه الطريقة المعهودة في ذكر المشبه والمشبّه به ويتخذ طريقة غير صريحة في التشبيه، وذلك بأن يأتي بكلام مستقل مقرون بكلام آخر، وقد استعمل هذا الكلام الآخر على معنى يُفهم منه ضمناً تشبيهه يناسب الكلام المستقل الذي اقترن به^(١).

وعرّفه الدكتور بسيوني عبدالفتاح فيود بقوله: "التشبيه الضمني هو أسلوب من أساليب التشبيه لا يأتي صريحاً في سياق الكلام بل يكون مضمراً، والفرق بينه وبين التشبيه الصريح، هو أنّ التشبيه الصريح يُذكر فيه المشبه والمشبّه به، في حين التشبيه الضمني لا يُذكر المشبه ولا المشبه به، بل يُلمحان من المعنى، وغالباً ما يكون المشبه به في التشبيه الضمني برهاناً وتعليلاً للمشبه، والأديب الذي يستعمل هذا الأسلوب في كلامه سوف يكون أبلغ وأشد تأثيراً في النفس؛ لأنّ المعنى غير واضح ويحتاج إلى تمعّن، وهذا الشيء يكون ذا مُنعة أكثر من المعنى الواضح الذي يُفهم من ظاهر الكلام"^(٢).

وهو تركيب يُعقد فيه الشبه بين الطرفين عن طريق التلميح دون التصريح؛ فهو تشبيه مضمر في النفس ويُفهم من معنى الكلام وسياق الحديث^(٣)، كقول المتنبي يمدح سيف الدولة:^(٤)

فإنّ تُفَقِ الأنامَ وأنتَ منهم فإنّ المسكَ بعضَ دم الغزالِ

١- ينظر: البلاغة العربية: ٢٠٢/٢

٢- علم البيان، د. بسيوني عبدالفتاح فيود: ١٢٤

٣- ينظر: دروس البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة، الأزهر الزناد، ط١، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٩٩٢م: ٣٥

٤- ديوان المتنبي، اعتنى به وشرحه عبدالرحمن المصطاوي، ط٧، دار المعرفة، بيروت-لبنان،

١٤٣٣هـ-٢٠١٢م: ٢١١

وهنا شبه سيف الدولة في تفوقه على جميع الخلق من معاصريه حتى ليُخَيَّلَ أَنَّهُ من جنس مستقل بالمسك في تفوقه على سائر أنواع الدماء؛ رغم أَنَّهُ منها، ووجه الشبه (تفوق الفرع على الأصل)؛ فالتشبيه ضمنى حيث ورد تلميحاً لا تصريحاً.

ومن أمثلة هذا النوع من التشبيه في كتاب ابن حزم -رحمه الله- قوله: "وَأَمَّا الْأَسْتِطَالَةُ عَلَى مَنْ لَا يُمَكِّنُهُ الْمُعَارَضَةُ؛ فَسُقُوطٌ فِي الطَّبْعِ وَرَذَالَةٌ فِي النَّفْسِ وَالْخُلُقِ وَعَجْزٌ وَمَهَانَةٌ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَتَبَجَّحُ بِقَتْلِ جُرَذٍ أَوْ بِعَقْرِ بَرَعُوثٍ أَوْ بِفَرَكِ قَمَلَةٍ، وَحَسْبُكَ بِهِذِهِ ضَعْفٌ وَخَسَاسَةٌ"^(١).

استعمل ابن حزم -رحمه الله- في هذا النص الصورة التشبيهية الضمنية عن طريق تشبيهه المتبجح والمفتخر باستضعاف من لا يمكنه المعارضة من نساء وأطفال ونحوهم ممن يتسمون بالضعف، بالمتبجح بقتل الجرذ، وهو ضرب من الفأر والجمع: الجرذان^(٢) والقملة، وهي دابة صغيرة من جنس القردان ألا أَنَّهُ أصغر منها، وشديدة التشبث بأصول الشعر^(٣) والبرغوث، وهو نوع من الحشرات، من صغار الهوام من فصيلة البرغوثيات عضو ضديد الوثب، يمتص دم الإنسان والحيوان، وينقل الأمراض الخبيثة إليه، وهو حشرة صغيرة حقيرة^(٤) وباقي الحشرات الضعيفة التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها، بجامع الخسة والدناءة والرذالة؛ فتلك الحشرات ضعيفة والسيطرة عليها متاح للجميع ولا فخر ولا منقبة لمن سيطر عليها، وكذلك الضعفاء من الناس لا فخر ولا منقبة لمن سيطر وتناول عليهم.

فلا فخر ولا عَزَّ ولا منقبة لمن تناول على ضعفاء الناس من الرجال المستضعفين أو النساء والأطفال الذين لا حيلة ولا قوة لهم كما لا فخر ولا عَزَّ ولا منقبة لمن قتل برغوثاً أو جرذاً أو فرك قملة أو غيرها من الحشرات.

١- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي: ١٦٤

٢- ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي، تح: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ١٩٨٧م: ١/٥٣

٣- ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٦/٤٤٠

٤- ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار عبدالحاميد عمر، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ-

٢٠٠٨م: ١/١٩١

فمحاولة السيطرة والاستطالة على الضعفاء من الناس هي فعل الأرزال والأخساء والأنذل والجبناء؛ إذ أنهم تناولوا على من لا يمكنهم المعارضة والدفاع عن أنفسهم؛ لضعفهم وهوانهم على الناس، فأولئك المتناولون على الضعفاء من الناس هم متشبهون بالذي يفتخر ويتبجح بقتل الحشرات والدواب الضعيفة كالفران والجرذان والبرغوث والقمل والنمل وغيرها من الحشرات بجامع الخسة والرذالة والدناءة والجبن والضعفة وسوء الخلق.

وتشبيه ابن حزم رحمه الله- المتناولين على الضعفاء والذين لا يمكنهم المعارضة بالمتبجح والمفتخر بقتل الجرذ والبرغوث والقمل وغيرها من الحشرات الضعيفة يُصَوِّرُ لنا أمراً معنوياً معقولاً غير محسوس وهو (التناول على الضعفاء) بأمر آخر أو مثال من الواقع المحسوس وهو (التبجح بقتل الحشرات الضعيفة كالبرغوث والجرذ والقمل وغيرها)؛ إثباتاً للمتلقين لحقيقة هذا الأمر المُتَقَرِّ لذوي النفوس العزيزة الكريمة، بتشبيه ضمني يفهم من سياق النص؛ فضلاً عن اللفظ (بمنزلة) التي تربط بين طرفي التشبيه المشار إليهما والتي كان لها فصل الكلام في توضيح هذا التشبيه.

ونلاحظ دِقَّةَ اختيار الألفاظ لرسم الصورة التشبيهية؛ فالدلالة الإيحائية لقوله: (الاستطالة على من لا يمكنه المعارضة) تنثير معنى الاستعلاء، فالاستطالة مصدر الفعل (طال) على وزن (استفعال) الذي يدل على المبالغة في المعنى، فيوحي بمعنى المبالغة في التناول على الضعفاء الذين لا دور لهم ولا يُؤْبَهُ بهم حتى إنه لم يذكرهم باسمهم الصريح؛ لِشِدَّةِ ضعفهم بل كُنِيَ عنهم بـ(من لا يمكنه المعارضة) مستعملاً حرف الجر (على) الذي يفيد الاستعلاء، فمن افتخر بالسيطرة على هؤلاء الضعفاء واستعلى عليهم وبالع في ذلك؛ فسيكون السقوط مصيره المحتوم؛ لذلك اختار المُصَنِّفُ لنتيجة من تلك أفعاله ألفاظاً قاسيةً ممثلة بـ (سقوط في الطبع، رذالة في النفس والخلق، عجز، مهانة) تلك الألفاظ التي توحى بسقوط من افتخر وبالع في الاستعلاء على الضعفاء وجعله بمنزلة من افتخر بقتل الحشرات الضعيفة؛ فضلاً عن استعماله للمحسنات المعنوية واللفظية كالتراصف المعنوي (ضعفة، رذالة، خساسة) والجناس (رذالة، ومهانة) الذي كان له تناغمٌ صوتي؛ ذلك أنَّ الموسيقى الصوتية التي تقوم على جرس الكلمات المذكورة شكلت انسجاماً صوتياً، وخلقت جواً خاصاً للصورة التشبيهية التي تهدف إلى تنفير النفس الكريمة وتحذيرها من مغبة ومحاولة التناول أو السيطرة على الضعفاء والافتخار بذلك،

مستعملاً ابن حزم رحمه الله- أساليب مختلفة في الكلام؛ بغية إيصالها وتقوية المعنى للمخاطبين؛ فجنده يفتح حديثه بأسلوب التوكيد الذي أدتُهُ الأداة (أَمْ) التي تقيد توكيد الكلام وتقوية حكمه^(١) مؤكداً بها علاقة الشبه بين طرفي التشبيه وترسيخه في ذهن المتلقي.

ويؤدي التشبيه بصورته وظيفة تنفير النفس عن رذيلة حب السيطرة والتناول والاعتداء على الضعفاء من رجال وأطفال ونساء.

ومن نصوص التشبيه المركب الضمني في كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق قول ابن حزم: "تَأَمَّلْتُ كُلَّ مَا دُونَ السَّمَاءِ وَطَالَتْ فِيهِ فِكْرَتِي، فَوَجَدْتُ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ مِنْ حَيٍّ وَغَيْرِ حَيٍّ مِنْ طَبْعِهِ إِنْ قَوِيَ أَنْ يَخْلَعَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْوَاعِ كَيْفِيَّاتِهِ وَيُلْبِسَهُ صِفَاتِهِ؛ فَتَرَى الْفَاضِلَ يَوَدُّ لَوْ كَانَ النَّاسُ فَضْلَاءَ، وَتَرَى النَّاقِصَ يَوَدُّ لَوْ كَانَ النَّاسُ نُقْصَاءَ، وَتَرَى كُلَّ مَنْ ذَكَرَ شَيْئاً يَحْضُرُ عَلَيْهِ- يَقُولُ أَنَا أَفْعَلُ أَمْرَ كَذَا وَكَذَا، وَكُلُّ ذِي مَذْهَبٍ يَوَدُّ لَوْ كَانَ النَّاسُ مُوَافِقِينَ لَهُ، وَتَرَى ذَلِكَ فِي الْعُنَاصِرِ إِذَا قَوِيَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ أَحَالَهُ إِلَى نَوْعِيَّتِهِ، وَتَرَى ذَلِكَ فِي تَرْكِيبِ الشَّجَرِ، وَفِي تَغْذِي النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ بِالمَاءِ وَرُطُوبَةِ الْأَرْضِ وَإِحَالَتِهِمَا ذَلِكَ إِلَى نَوْعِيَّتِهِمَا، فَسُبْحَانَ مُخْتَرِعِ ذَلِكَ وَمُدَبِّرِهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ"^(٢).

تضمن النص صورة تشبيهية جميلة من التشبيه المركب الضمني تفهم من سياق الكلام، ولمعرفة أركانه ووجه الشبه بين طرفيه؛ لا بُدَّ من كَدِّ الذهن ودِقَّةِ القراءة؛ فيُسَبَّه فيها ابن حزم رحمه الله- ميول الناس على اختلاف مذاهبهم ومحاولتهم إخلاع صفاتهم على غيرهم وعلى من هم دونهم من الناس بتركيب الشجر وتغذي النبات والشجر بالماء ورطوبة الأرض وإحالتهم ما دونها من النباتات إلى نوعيتهما بجامع حب السيطرة على الأدنى أو الغير.

فكما أَنَّ الأشجارَ والنباتاتِ إِنْ قَوِيَتْ؛ أَحَالَتْ عناصر التربة والماء ورطوبة الأرض إلى نوعيتها، وجعلت ما دونها من النباتات تابعة لها، كذلك الناس وأصحاب المذاهب إِنْ

١- ينظر: علم المعاني، عبدالعزيز عتيق، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م: ٥٦

٢- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي: ١٤٠-١٤١

مُنَحُوا قُوَّةً؛ خَلَعُوا عَلَى غَيْرِهِمْ وَمِنْ دُونِهِمْ مِنَ النَّاسِ صِفَاتِهِمْ وَأَلْبَسُوهُمْ فِكْرَهُمْ وَجَعَلُوهُمْ تَابِعِينَ لَهُمْ يَسِيرُونَ عَلَى وَفْقِ نَهْجِهِمْ وَمَنْهَجِهِمْ.

وجميع أهل المذاهب والأفكار والعقائد والملل والنحل والأخلاق والسلوكيات يتمنون أن يكونَ الناسُ كُلُّهُمْ مِنْهُمْ وعلى وفق نهجهم، بل يحاولون السيطرة على أفكار من دونهم فِكْرًا وَتَقَافَةً وَعِلْمًا؛ ليحيلوهم إلى مذهبهم وعقيدتهم؛ ليكثرَ سوادهم بين الناس ويسودوا في المجتمع وتصبح الرياسة خاصةً بهم دون غيرهم متصدرين بذلك قيادة المجتمع على وَفْقِ أَفْكَارِهِمْ وَمَنْهَجِهِمْ وطريقتهم في إدارة شؤون الحياة، كما هو حال الأشجار والنباتات في أرضٍ معينة إن قُوِيَتْ على غيرها من النباتات والأشجار؛ أحالت عناصر التربة والماء ورطوبة الأرض إلى نوعها مسيطرَةً بذلك على النباتات الضعيفة جاعلةً منها تابعةً لها، ويعرف ذلك كُلٌّ من مارس مهنة الزراعة من فَلَاحِيْنَ وَمَزَارِعِيْنَ في الأرياف.

فمثلاً نجدُ أشجارَ الحمضيات والنخيل والزيتون والفواكه بجميع أنواعها تسيطر على ما دونها من النباتات، وتسود عليها في الأرض التي تتواجد فيها؛ لسيطرتها على عناصر التربة والماء ورطوبة الأرض؛ لقوتها في تركيبها؛ فتحيل غيرها من النباتات الضعيفة إليها وتلبسها صفتها، وتجبرها على النمو تحت ظلها، فضلاً عن أن النباتات المتسلقة الضعيفة ترتفع على جذوع الأشجار الضخمة؛ لكي تصل إلى ضوء الشمس^(١)، وكذلك الناس، نرى الفضلاء منهم يحاولون إحالة غيرهم إليهم وإلباسهم صفاتهم الفاضلة، ونرى النقصاء يحاولون إحالة غيرهم إليهم وإلباسهم صفاتهم الناقصة كذلك، وهكذا جميع أهل المذاهب الدينية أو السياسية يحاولون باستمرار دون كلٍّ أو ملٍّ إحالة غيرهم من الناس إلى مذهبهم والسيطرة عليهم فكرياً وعقدياً وسياسياً؛ ليضمنوا بذلك كثرة مؤيديهم ومريديهم ومن ثم السيطرة على الناس من حولهم جاعلين منهم تبعاً لهم.

نجد أن ابن حزم -رحمه الله- في هذه الصورة التشبيهية الجميلة يعتمد على أهم خصائص الصورة الفنية ألا وهو (الخيال) الذي أوجد عن طريقه طبيعة علاقة الشبه بين

١- ينظر: الجغرافيا المناخية والنباتية، د. عبدالعزيز طريح شرف، ط١١، دار المعرفة الجامعية، د.ت: ٥٥٠ والمقدمات في الجغرافية الطبيعية، د. عبدالعزيز طريح شرف، د.ط، مركز الإسكندرية للكتاب،

طرفي الصورة (الناس) و (النباتات والأشجار) بجامع معنوي يشتركان فيه وهو (محاولة السيطرة على الأدنى) عند توفر عناصر القوة وأسبابها عند الناس وعند النباتات والأشجار، معتمداً على سعة فكره وكثرة تجاربه وخبرته في الحياة، فضلاً عن المحسنات اللفظية والمعنوية كالتطابق بين (حي، وغير حي) و (الفاضل، والناقص) والمقابلة بين (يخلع على غيره من الأنواع كصفات، ويلبسه صفاته) و (الفاضل يود لو كان الناس فضلاء، والناقص يود لو كان الناس نقصاء)، فكان لهذا التضاد دور في إبراز المعنى للمتلقي؛ فالأشياء تتميز بأضدادها، ذلك أن النص يقوم على شيئين متضادين يتنازعان في حب السيطرة على الآخر والافراد بالسيادة والرياسة والتي ستكون للأقوى منهما، ونجد الجنس بين (كفياته، وصفاته) و (فضلاء، ونقصاء) و(إحالتها، ونوعيتها) وما حققه من إيقاع داخلي؛ فالموسيقى اللفظية هي أهم وسائل الانتفاع بالأصوات في الصورة الفنية والتي تخدم المعنى الذي يراود إيصاله للمتلقي وهو محاولة سيطرة القوي على الضعيف مستعملاً ألفاظاً توحى بالقوة ممثلة بـ(يَحُضُّ، أنا أفعل أمر كذا وكذا، وتكرار حرف الاستعلاء "على"، وَقَوِيَ بعضها على بعض)، فيوحي بمعنى حقيقة محاولة سيطرة القوي على الضعيف في كل حين، ويرى حقيقة ذلك كُلاً من تأمل في طبيعة الأشياء من نباتات وغيرها.

ثم يختم المصنّف نصّه بتعجبه من هذه الحقيقة التي أودعها الله -سبحانه وتعالى- في الأشياء بقوله: (فسبحان مخترع ذلك ومدبره، لا إله إلا هو) معترفاً بقدرة الله على تدبيره واختراعه للأشياء وطبيعتها العجيبة!.

والنص التشبيهي الضمني بصورته التي أنتجها خيال ابن حزم -رحمه الله- يمثل دعوةً للتمسك بالمبادئ العليا والأخلاق الرفيعة والدفاع عنها، ومنع محاولات مصادرتها من قبل المتربصين، فضلاً عن أنه بيان لحقيقة محاولة سيطرة مواطن القوة على مواطن الضعف في الأشياء في كل حين.

ومن نصوص التشبيه المركب الضمني في كتاب ابن حزم رحمه الله- قوله: "مَا رَأَيْنَا شَيْئًا فَسَدَ فَعَادَ إِلَى صِحَّتِهِ إِلَّا بَعْدَ لَأْيٍ، فَكَيْفَ بِدِمَاحٍ يَتَوَالَى عَلَيْهِ فَسَادُ السُّكْرِ كُلِّ لَيْلَةٍ؟! وَإِنَّ عَقْلًا زَيْنَ لِأَصْحَابِهِ تَعْجِيلَ إِفْسَادِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ؛ لَعَقْلٌ يَنْبَغِي أَنْ يُنْهَمَ"^(١).

تضمن النص صورة تشبيهية ضمنية؛ إذ شَبَّهَ ابن حزم رحمه الله- تأخُّر عودة الدماغ الذي أفسده السكر إلى صحته وعافيته بتأخر عودة الأشياء المادية من مواد غذائية وأدوية التي فسدت بانتهاء مدتها أو لأيِّ سبب آخر، بجامع إبطاء صحتها وعودتها إلى طبيعتها وتأخر إمكانية استعمالها

ومعنى "بَعْدَ لَأْيٍ" أي: بعد بُطءٍ وجهدٍ ومشقةٍ وزمنٍ طويلٍ^(٢)، فكما أنَّ الأشياء المادية من مواد غذائية ونحوها التي فسدت وأمست غير صالحة للاستهلاك البشري يتأخر إصلاحها، بل يحتاج إصلاحها إلى زمن طويل وجهدٍ ومشقةٍ، كذلك الدماغ الذي توالى عليه فساد السكر كل ليلة يحتاج إصلاحه إلى زمن طويل وجهدٍ ومشقةٍ.

ونلاحظ أنَّ التشبيه لم يأتِ صريحاً في النص، بل يحتاج إلى تأويلٍ وكَدٍّ للذهن؛ لمعرفة طرفيه ووجه الشبه بينهما؛ فهو تشبيه ضمني يعتمد ابن حزم رحمه الله- فيه إلى تشبيه المعنوي غير المحسوس (فساد الدماغ؛ بسبب توالي السكر عليه كل ليلة) بالمعنوي المحسوس (فساد الأشياء المادية؛ بسبب إنتهاء مدتها أو أي سبب آخر) بجامع تأخر عودة صحتها وما كانت عليه إلّا بعد مدة زمنية طويلة، ورُيِّمًا لا تعود!.

نلاحظ أنَّ ابن حزم رحمه الله- يبدأ نَصَّهُ بنفي ظاهر صريح بـ(ما) الداخلة على الفعل الماضي (رأينا) والإستثناء المفرغ (إلّا بعد لأْيٍ) الذي أعطى معنى (القصر) بطريقة النفي والإستثناء المفرغ الذي أفاد التوكيد، بل هو قمة أساليب وأدوات التوكيد؛ فهذا الأسلوب يتضمن الإثبات القصدي والنفي التبعية^(٣) نفى ابن حزم رحمه الله- به

١- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي: ٤٥-٤٦

٢- ينظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، د.ط، دار ومكتبة الهلال، د.ت: ٣٥٤/٨

٣- ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د.صباح عبيد دراز، ط١، مطبعة الأمانة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م: ٢٢-٢٣

إصلاح ما فسد من أشياء مادية، ثم أثبت لها الإصلاح بعد مدة زمنية ومشقة وجهد وبطء ومجاهدة ومكابدة، كما نلاحظ استعمال الاستفهام مع المشبه بالأداة (كيف) التي خرجت إلى معنى النفي؛ تنبيهاً للمتلقي؛ لِيُرَكَّزَ على المعنى الأساسي في النص وهو (الدماغ) وخطورة إفساده بالمسكرات ونحوها والذي لا يمكن إصلاحه إلا بعد مدة زمنية طويلة؛ فهو ينفي عودة الدماغ الذي أفسده السكر إلا بعد مدة زمنية طويلة ومشقة وجهد، رابطاً بينه وبين الأشياء المادية بعلاقة المشابهة عن طريق التشبيه الضمني، منتزِعاً وجه الشبه من الصورتين وهو (إبطاء وتأخر عودة ما فسد إلى صحته إلا بعد مدة زمنية وبذل جهد). وأدّى التشبيه بصورته وظيفته تنفير النفس عن كُلِّ ما يؤدّي إلى إفساد الدماغ من مسكرات ونحوها والتحذير منها على وجه الدوام والاستمرار.

ومن نصوص التشبيه المركب الضمني في كتاب ابن حزم رحمه الله - قوله متحدثاً عن مدح الناس وذمهم: "وَأَمَّا إِنْ لَمْ يَبْلُغْهُ مَدْحُ النَّاسِ إِيَّاهُ؛ فَكَلَامُهُمْ وَسُكُونُهُمْ سَوَاءٌ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ذَمُّهُمْ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّهُ غَانِمٌ لِلْأَجْرِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، بَلَغَهُ ذَمُّهُمْ أَمْ لَمْ يَبْلُغْهُ"^(١).

تضمن النص صورة تشبيهية ضمنية؛ إذ شبّه ابن حزم رحمه الله - كلام الناس بسكوتهم لمن لم يبلغه مدح الناس إياه بجامع عدم التأثير في ذلك المدح.

ونرى أنَّ طرفي التشبيه لم يردا على الطريقة المعهودة في ذكر المشبه والمشبه به، بل اتخذنا طريقة غير صريحة في التشبيه فُهِمَا ضمناً من سياق النص، وتقدير الكلام هو: (كلام الناس في المدح كسكوتهم لمن لم يبلغه مدح الناس).

فَمَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ مَدْحُ النَّاسِ إِيَّاهُ؛ فَكَلَامُ النَّاسِ حِينَئِذٍ مِثْلُ سَكُوتِهِمْ فِي عَدَمِ التَّأْثِيرِ فِيهِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْمَدْحَ إِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَسْمَاعِ الْمَمْدُوحِ؛ يَكُونُ كَلَامُ النَّاسِ فِيهِ كَسَكُوتِهِمْ، لَا يَتَأَثَّرُ بِهِ، وَلَا يَفِيدُ مِنْهُ، وَلَا يَغْتَبِطُ بِهِ، بخلاف ذم الناس له؛ فَإِنَّهُ يَفِيدُ مِنْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، بلغه ذمهم أم لم يبلغه؛ لِأَنَّهُ سَيَحْصُلُ عَلَى الْأَجْرِ؛ بسبب غيبتهم له.

والنص يقوم على ركيزتين اثنتين وصورتين (صورة المدح) و (صورة الذم)، مفرقاً ابن حزم رحمه الله - بينهما من حيث التأثير في حالتي بلوغهما للمدح أو المذموم من

١ - مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي: ٢٩

عدمه، مفضلاً الذم على المدح في باب الحصول على الأجر والثواب، سواء أبلغه ذمهم أم لم يبلغه، بخلاف المدح الذي لا أجر فيه ولا ثواب، سواء أبلغه مدحهم أم لم يبلغه. وتشبيه كلام الناس بسكوتهم في المدح لمن لم يبلغه مدح الناس إياه لا يخلو من صورة فنية؛ إذ إنه يعتمد على أهم خصائص الصورة الفنية ألا وهو (الخيال)، فضلاً عن الإيحاء الذي توحيه ألفاظه؛ فكلمة (سواء) أسهمت في تقريب الصلة بين طرفي التشبيه إلى درجة المساواة، فضلاً عن أنها سهلت للمتلقي إيجاد طرفي التشبيه الضمني وانتزاع وجه الشبه منهما، كما أن للتضاد بين مفردات النص دور في تأكيد المعنى وتقويته في ذهن المتلقي؛ فالطباق (كلامهم، سكوتهم) والمقابلة (مدح الناس إياه، ذمهم إياه) و (بلغه ذمهم، لم يبلغه) كان لهما دور كبير في إضفاء الجمال والرونق والبهاء على القول، وأدت تلاهماً وارتباطاً قوياً بين الألفاظ؛ واستدعت المعاني بعضها عن طريق هذا التضاد؛ فالأشياء تتميز بأضدادها^(١).

والنص تحيط به تأكيدات عديدة أسهمت في إيصال المعنى وتوكيده وتقويته؛ فالمصنّف رحمه الله- يستهل نصّه بـ(أما) التي تفيد الاهتمام والعناية والتأكيد، وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد، وفانته في الكلام أنها تعطيه فضلاً توكيد وتقوية للحكم^(٢)، فضلاً عن دقته في استعمال الألفاظ للنص التي تحمل توكيداً أكثر من غيرها؛ فمثلاً نجده يقول: (لم يبلغه)، ولم يقل: (لم يصله)؛ ذلك أن البلوغ هو منتهى المرور والوصول إلى الشيء والتمكن منه، ولا يحمل (الوصول) هذا المعنى^(٣)، ثم يؤكد حصول من ذم من قبل الآخرين على الأجر بقوله: (لأنه غانم للأجر على كل حال)؛ فقال: (غانم) ولم يقل: (حاصل)؛ ذلك أن (الغنيمة) تطلق على ما أخذ من أموال الأعداء بقتال أثناء المعارك^(٤)، فيوحي بمعنى كثرة الأعداء والحساد الذين يتربصون بالإنسان وتسليط ألسنتهم

١- ينظر: علم البديع في البلاغة العربية: ٧١-٧٢

٢- ينظر: علم المعاني: ٥٦ وينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأتصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، دار الطلائع، جدة-المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩م: ١/٧٨

٣- ينظر: الكليات، أبو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، د.ت: ٢٤٧

٤- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٢٠١٠م: ١٩٢

عليه بالغيبة والنميمة والذم، سواء أبلغه ذمهم أم لم يبلغه؟؛ لكنَّهُ سينتصر عليهم في النهاية وسيحصل على غنيمة الأجر والثواب.

وأدَّى التشبيه بصورته الفنية الجميلة وظيفته تهذيب النفس بتغييرها عن رذيلة حب المدح التي تتولد عنها أمراض نفسية ورذائل أخرى كالعجب بالنفس والغرور والكبر والنفاق.

ومن نصوص التشبيه المركب الضمني في كتاب ابن حزم -رحمه الله- قوله: "وَرَأَيْتُ مِمَّنْ طَالَعَ الْعُلُومَ، وَعَرَفَ عُهُودَ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- وَوَصَايَا الْحُكَمَاءِ، وَهُوَ لَا يَتَقَدَّمُهُ فِي خُبِّ السَّيْرِ، وَفَسَادِ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ شِرَارُ الْخَلْقِ، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا مَوَاهِبٌ وَحِزْمَانٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى"^(١).

تضمن النص صورة تشبيهية ضمنية؛ إذ شبَّه ابن حزم -رحمه الله- صنفًا من الناس وهم (من طالع العلوم، وعرف عهود الأنبياء ووصايا الحكماء) بـ(شرار الخلق) في (خبث السيرة وفساد العلانية والسريرة).

ويكمن جمال هذه الصورة التشبيهية في أنَّها من التشبيه المركب الضمني الذي يحتاج إلى كَدِّ الذهن ودقة النظر في تفحصه؛ لمعرفة طرفي التشبيه والمعنى المشترك بينهما. فأخذ التشبيه -هنا- صيغةً مضمرة خفية مذكورٌ فيه الطرفان بطريقة غير صريحة، بل تلمحٌ تلميحا، وتُفهم من سياق المعنى.

فكثيرٌ ممن طالع العلوم وعرف سير الأنبياء والأولياء والصالحين واطلع على وصايا الحكماء نجدهم متشبهين بشار الخلق في خبث السيرة وفساد السريرة والعلانية؛ ذلك أنَّهم لم يفيدوا من علمهم ولم يعملوا به عندما شابها شرار الخلق بأفعالهم وسلوكياتهم ممَّا سيعود عليهم بأسوأ الأثر عاجلاً أم آجلاً؛ فعاجلاً في الدنيا الخزي والعار وعدم التوفيق، وآجلاً في الآخرة؛ فسيكون علمهم حجةً عليهم يوم القيامة؛ إذ لم يعملوا بعلمهم الذي اطلَّعوا عليه، بل ساروا في طريق الغواية -طريق الشيطان- متشبهين بـ(شرار الخلق).

إنَّ العلم الذي تعلموه يُفترضُ أن يجعل منهم خياراً لا متشبهين بالأشرار، ولكنَّ الشيطانَ أغواهم، وجعلهم كشرار الناس في خبث السيرة وفساد العلانية والسريرة.

١- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي: ٤٩

نلاحظ أنَّ ابنَ حزمٍ رحمه الله - افتتح النص بجملة خبرية (ورأيتُ) فعلها ماضٍ الذي يدلُّ على تحقيق حصول الحدث ووقوعه^(١)؛ مؤكداً فيه حقيقة وجود كثير من الناس الذين تعلموا العلم ولم يعملوا به، بل تشبَّهوا بشارر الخلق في خبث السيرة وفساد العلانية والسريرة، محققاً التشبيه وظيفته تتفير النفس عن رذيلة التشبه بـ(شرار الخلق) في الأقوال والأعمال والأخلاق، ومحذراً من مغبة عدم العمل بالعلم.

ونجد أنَّ المُصنَّف استعمل أسلوب الطباق (مواهب، وحرمان) و (العلانية، والسريرة) لإيصال المعنى للمتلقى؛ فالضدُّ يتميز بضده، وهذا التضاد بين الألفاظ يوحي بالتباين بين أهل العلم وشرار الخلق الذين يُحذَر من التشبه بهم.

ومن نصوص التشبيه الذي يخالف النص السابق بالمعنى، ويتفق معه بنوع التشبيه (المركب الضمني) قول ابن حزم رحمه الله - قوله: "وَرَأَيْتُ مِنْ أَغْمَارِ الْعَامَّةِ مَنْ يَجْرِي مِنَ الْأَعْتَدَالِ، وَحَمِيدِ الْأَخْلَاقِ إِلَى مَا لَا يَتَقَدَّمُهُ فِيهِ حَكِيمٌ عَالِمٌ رَائِضٌ لِنَفْسِهِ، وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ جِدًّا"^(٢).

وهنا يشبه ابن حزم رحمه الله - صنفاً قليلاً من الناس ومن أغمارهم وعامتهم بالحكيم والعالم الرائض لنفسه بجامع الاعتدال وحמיד الأخلاق، فأغمار العامة هم ضعفاؤهم وسوادهم الأعظم وكثرتهم^(٣).

ويكمن جمال هذه الصورة التشبيهية في أنَّها من التشبيه المركب الضمني الذي يحتاج إلى كدِّ الذهن في تفحصه لمعرفة طرفي التشبيه ووجه الشبه المنتزع من صورتيهما.

فبعض العامة من الناس -على قلتهم- ومن دون تَعَلُّمٍ شابَّهوا الحكيم العالم الرائض لنفسه في الاعتدال والأخلاق الحميدة، فطرةً وسليقةً وسجيةً وطبع فيهم.

والاعتدال هو الاستقامة والمضي على النهج القويم من دون انحراف، وهو أصلح الأمور، وحמיד الأخلاق، هي ما كانت موافقةً لأحكام شريعتنا، التي لا تخرج عن نهج القرآن الكريم والسنة المطهرة.

١- ينظر: معاني النحو: ٣١٤/٣

٢- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي: ٤٩

٣- ينظر: الغريب المصنف، أبو عبيد القاسم بن سلام، تح: صفوان عدنان داوودي، د.ط، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٧هـ: ٣٥٩/١

فمن عَوَّامٍ الناس مَنْ يكون معتدلاً في أخلاقه وسلوكه وتصرفاته وأفعاله فطرةً من دون دراسة أو تعلم وكأنَّهُ حكيم عالم رائض لنفسه؛ فتراهم يسيرون في طريقٍ مستقيمٍ لا يحيدون عنه، ولا تأخذهم في الله لومة لائم مع أنَّهم من عامة الناس ومن أغمارهم، ولكنَّهم قليل.

ويشير ابن حزم إلى قلة هؤلاء العامة الذين يجرون من الاعتدال قياساً بالحكيم العالم الرائض لنفسه ثلاث مرات، المرة الأولى عن طريق (من التبعية) ^(١) بقوله (من أغمار...) التي تدلُّ على قلتهم، والمرة الثانية في نهاية النص عندما قال: (قليل جداً) تأكيداً لمعنى قلتهم، والمرة الثالثة، نرى أنَّه اختارَ التعريف بالإضافة مع (أغمار العامة) الذي يدلُّ على القلة؛ قياساً بالتكثير في قوله: (حكيمٌ عالمٌ رائضٌ لنفسه) الذي يدلُّ على العموم والكثرة ^(٢)، وهو بذلك يدعو للتمسك بالعلم وطلب الحكمة؛ ترويضاً للنفس للسير في طريق الاعتدال والتمسك بحميد الأخلاق؛ إن لم يحصلوا عليها فطرة وسليقة؛ بسبب بينتهم أو أي سبب آخر؛ فما لا يُحصل عليه بالفطرة؛ يمكن الحصول عليه عن طريق طلب العلم والحكمة.

ونرى كذلك أنَّ ابن حزم رحمه الله - يستهل نصه بجملة فعلية (رأيتُ) فعلها ماضٍ، والذي يدلُّ على تحقيق حصول الحدث ووقوعه ^(٣) الذي يوحي بحقيقة وجود هكذا صنف من الناس - على قلتهم - يجرون من الاعتدال وحميد الأخلاق كما يجري منهما حكيمٌ عالمٌ رائضٌ لنفسه.

ويؤدي التشبيه بصورته الفنية الجميلة وظيفته تهذيب النفس بترغيبها بفضيلة الاعتدال والتمسك بالأخلاق الحميدة الفاضلة التي تؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة

ومن جميل نصوص التشبيه المركب الضمني في كتاب ابن حزم رحمه الله - قوله: "مَنْ عَجِيبِ قُدْرَةِ اللَّهِ كَثْرَةُ الْخَلْقِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَحَدًا يُشْبِهُ آخَرَ شَيْهًا لَا يَكُونُ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ،

١ - ينظر: الضرورة الشعرية ومفهومها لدى النحويين، دراسة على ألفية ابن مالك، إبراهيم بن صالح الحندود، ط٣، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م: ٤٣١

٢ - ينظر: المقتضب، أبو العباس المبرد، تج: محمد عبد الخالق عزيمة، د. ط، عالم الكتب، بيروت - لبنان، د. ت: ٢٧٦/٤

٣ - ينظر: معاني النحو: ٣١٤/٣

وَقَدْ سَأَلْتُ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَبَلَغَ الثَّمَانِينَ عَامًا، هَلْ رَأَى الصُّورَ فِيمَا خَلَا مُشَبَّهَةً لِهَذِهِ شَبْهًا وَاحِدًا؟ فَقَالَ لِي: لَا، بَلْ لِكُلِّ صُورَةٍ فَرْقُهَا، وَهَكَذَا كُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ، يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ تَدَبَّرَ الْآلَاتِ وَجَمِيعَ الْأَجْسَامِ الْمُرَكَّبَاتِ، وَطَالَ تَكَرَّرُ بَصَرُهُ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يُمَيِّزُ مَا بَيْنَهَا، وَيَعْرِفُ بَعْضَهَا بِفُرُوقٍ فِيهَا، تَعْرِفُهَا النَّفْسُ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْهَا بِلِسَانِهِ، فَسُبْحَانَ الْقَدِيرِ الَّذِي لَا تَنْتَاهِي مَقْدُورَاتُهُ^(١).

تضمن النص صورة تشبيهية ضمنية؛ إذ شبه ابن حزم -رحمه الله- فيها صورة الناس على كثرتهم وعدم وجود الشبه التام بين أحد وآخر، وَلَا بُدَّ من وجود الفرق بينهما بصورة الآلات والأجسام المركبات التي لا تتشابه شيهاً واحداً ولا بُدَّ من وجود الفارق بين آلة وأخرى رغم أنها مصنوعة في شركة واحدة أو في مكان واحد، ويرى ذلك من تدبرها؛ ففي هذا النص إشارة إلى تشابه الخلق في أشكالهم بين جيل وآخر، وحتى في الجيل الواحد، لكن في الحقيقة لا يكون الشبه إلى درجة استحالة الفوارق؛ فَلَا بُدَّ من وجود الفوارق بينهم، وهذه الفوارق قد لا ينتبه إليها الآخرون ولا يستطيعون تمييزها، وقد شبه ذلك بالآلات والأجسام المركبات التي مهما تشابه شكلها للناظرين؛ فلا بُدَّ من وجود الفارق بتشبيه مركب ضمني عقد فيه ابن حزم -رحمه الله- الشبه بين الطرفين عن طريق التلميح دون التصريح، مضمراً، فُهِمَ من معنى الكلام وسياق الحديث.

إنَّ الناس -على كثرتهم- وباختلاف أممهم وقومياتهم واختلاف ألسنتهم لا نرى أحداً يشبه آخرًا شَبْهًا تاماً؛ فلا بُدَّ من وجود فرق بينهما، وكذلك الآلات والأجسام المركبات التي هي من صنع الإنسان؛ فَإِنَّ من تدبرها؛ يجد الفارق بينها وإن كانت مصنوعة في مكان واحد أو في شركة واحدة، وهذا دليل على قدرة الله -سبحانه وتعالى- الذي منح الإنسان عقلاً وهدايةً لصنع تلك الآلات والأجسام المركبات.

والنص يركز على أهم عناصر الصورة الفنية ألا وهو (الخيال) الذي أوجد ابن حزم -رحمه الله- عن طريقه علاقة الشبه بين طرفيه وانتزاع وجه الشبه منهما وهو (لا بد من وجود الفارق بين الأشياء التي يُظَنُّ فيها الشبه المطلق).

١- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، الأخلاق والسير، ابن حزم الأندلسي: ١٤١-١٤٢

ونلاحظ أنَّ ابن حزم -رحمه الله- يستهل نصه ويؤكد أسلوب القصر بطريقة تقديم ما حقه التأخير، وهو قوله: (من عجيب قدرة الله كثرة الخلق) وهو تقديم شبه الجملة (من عجيب قدرة الله) التي هي الخبر على المبتدأ (كثرة الخلق)، فالقصر هو قمة أساليب وأدوات التوكيد^(١)، ثم ينفي الشبه المطلق بين أحدٍ وآخر من الناس -على كثرتهم- ثم يشبههم ضمناً بالآلات والأجسام المركبات التي لا بد من وجود الفارق بينها، معطياً أدلة وبراهين تثبت صحة ما يذهب إليه، مقدماً صورة التشبيه بصيغة فكرية منطقية؛ لإقناع المتلقي بفكرته التي يريد إيصالها له عن طريق هذا التشبيه الضمني، ثم يستعمل أسلوب الاستفهام: (هل رأى الصور...؟)؛ ليجلب انتباه المتقنين إلى الحدث الرئيس في النص؛ وليعلمهم بحقيقة وجود الفرق بين الأشياء والناس، ويرى ذلك من تدبرهم.

والتشبيه بصورته دعوة للتفكير بقدرة الله وعظمته التي لا مثيل لها عن طريق النظر والاعتبار في خلقه -على كثرتهم-؛ لا يوجد شبه تام بين إنسان وآخر، فلا بد من وجود الفارق، فضلاً عن الآلات والأجسام المركبات جميعها التي صنعها الإنسان لا يوجد شبه تام بينها، ومن تدبرها؛ يجد الفرق واضحاً فيما بينها.

الخاتمة

بعد أن تمَّ هذا البحث (التشبيه المركب في كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم الأندلسي) بعون الله ومنه وتوفيقه؛ يمكن لي أن أُبين أهم النتائج التي توصل إليها البحث وعلى النحو الآتي:

- لقد كان للتشبيه المركب دور كبير في تأدية معاني الزهد في الرذائل والترغيب بالفضائل في كتاب مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم الأندلسي -رحمه الله-.
- التشبيه المركب يكون أجمل إذا ما صُيغ بصيغة فكرية منطقية يتناولها أديب ومفكر وشاعر وفيلسوف عربي مسلم كابن حزم الأندلسي -رحمه الله- إذ عبَّر عن فكره وتجاربه بلغة أديب وشاعر، فكان الجمال.
- أغلب التشبيهات مستمدة من الواقع المحسوس؛ لتقريب الصورة للمتلقين.
- ارتباط الصورة التشبيهية المركبة بعلم الدلالة ارتباطاً وثيقاً.

١- ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية: ٩

- كان دور المصنف رحمه الله- كبيراً في إضفاء الجمال على نصوص التشبيه الفكرية والمنطقية والفلسفية النابعة من فكره وعمق تجاربه في الحياة، مستعملاً لغة أدبية جميلة، لغة شاعر وأديب ومفكر إسلامي.

The Compound Simile in the Book ‘The Healing of Souls and Refining the Morals’ by Ibn Hazm Al Andalusī (T 456 A.H.)

Ali Abd Ali Al-Hashemi*

Shaymaa Ahmed Mohammed*

Abstract

The research deals with the image of the combined simile with its two types (representative and implicit) in the book ‘Healing Souls and Refining Morals’ by Ibn Hazm – may God have mercy on him – and how he employed it? And the home of beauty in it and its components of language, revelation, imagination, its role and its accuracy in choosing the words of the analogy that imply other connotations understood through their context in the text, and this type of analogy had a great role in performing the meanings of abstinence in vices and enticing virtues in the book Healing Souls and Refining Morals by Ibn Hazm Andalusian _may God have mercy on him _ and the complex metaphor was beautiful, as it was dyed with a logical intellectual tint that was addressed by an Arab Muslim writer, thinker, poet and philosopher, who is Ibn Hazm Al-Andalusī – may God have mercy on him – as he expressed his thought and experiences in the language of a writer, poet and philosopher, so beauty was.

Keywords: Simile, compound, representational, implicit.

* Master Student/Department of Arabic Language/College of Arts/University of Mosul.

* Lect/Department of Arabic Language/College of Arts/University of Mosul.